جيل بعد جيل

أصل ونقل

يلتفت القلب الى الوراء !

هل كنت انا ذلك الفتى الممتلىء بالحلم الواثق (اليوم: اجمع شظاياه من أرضية اروح القاتمة) ، هل كنت انا الذي وضع ذات صباح قصيدة في غلاف وعنونها : بيروت ـ الخندق الغميق ـ شارع سوريا (الآن : من حفر الخندق بين بيروت وشارع سوريا ؟) يلتفت القلب الى الوراء : من دل يدي على عدد الآداب قلبت فيه فوجدت اللمسة التي هش لها القلب ، لمسة جيل جديد يكتب ببساطة ورقة وسخرية واثقة ، حتى المعارك التي تشتعل خلف غبارها عذوبة طفلية ورغبة جارفة للكبر قبل الاوان .

يلتفت القلب الى الوراء :

كيف استطعت ان اصبر عددا تلو الآخر دون ان اجد اسمي ، لا بد ان بضاعتي فاسدة دون ان أدري ـ الى الاسكندرية ايها المغامر ، لا شعر بعد اليوم ـ واكتشفت فيما بعد ان قصيدتي نشرت ، وهكذا قرات قصيدتي الاولى في الآداب بعد عامين كاملين من نشرها ـ حين قررت العودة الى الشعر والقاهرة ، استعنت بصديق لاستعيد ما فاتني من القصائد والاسماء ، وهكذا وجدت نفسي محشورا في صفحتين كاملتين وتحتهما توقيعي الكريم (رحم الله صديقي : فقد تخرج وحارب وتزوج وانجب وطلق ومات في خمس سنوات) اذن فالآداب طويلة البال والحبال ، ولو ظللنا على هذه الحال لفقأت الآداب مرارتي : قال لي صلاح عبدالصبور : لماذا لا ترسل شيئا للآداب ، لقد نشرت هنا كثيرا لكنك ان تكون شاعرا عربيا الا اذا نشرت لك الآداب . ولم اجرؤ ان اروي له قصة السنتين ، وفي النهاية غامرت فأرسلت قصيدة..

يلتفت القلب الى الوراء : لقد تكرر الامر بصورة اخرى ، فقد نشبت الحرب وانتهت ، وصودر العدد الذي به قصيدتي لاسباب لا اعرفها حتى الآن ..

(وحتى الان لم ار هذه القصيدة المنكودة !) لكن لا بأس فقد نشرت بسرعة على اية حال .. اخرى .. وثالثة وصارت الآداب جزءا من ذاكرتي .

« هل تكتب مقدمة لديواني ؟ » هكذا سألت صلاح عبدالصبور . وقراه ، وسألني اين انشره ، اجبت : دار الكاتب العربي .. فقال : خسارة ..

في طشقند التقينا في مؤتمر، وجاءني يطلب مني ان ارسل ديواني للدكتور سهيل . لم أكن رأيته من قبل ، شهران فقط وكان الديوان في معرض القاهرة الاول للكتاب ، وهناك رأيته ..

قال : لقد نفدت نسخ ديوانك من المعرض، واضاف مازحا : لكن لا تظن انك شاعر جيّد ..

ضحكت وانا أتأمل هذا الرجل الذي حمل امانة صوتي ليبلغها الى كل من لا اعرفه من الكتاب والقراء ، قلت لنفسي « انه يحاول الا يبدو رقيقا »

* * *

يلتفت القلب الى الوراء : لا كتابة الا كتابة الشعر « اكتب لنا نقد القصائد ـ لا » ، « ردّ على اتهامات ضدك ـ لا » والدكتور البشوش الوجه الخشن المجاملة يتلقى القصائد ، نختلف ونتفق ، لكن كلا منا يضع الآخر في مكانه الصحيح ، وهكذا عرفت عنه ـ ومنه ـ موضوعية الحكم .. وكبح العاطفة .

* * *

وها أنذا اكتب نثرا للمرة الاولى ..

* * *

هل احسب عمري بأعداد الآداب ، لست وحدي في هذا ، جيل كامل ظلت الآداب وجبته الشهرية الدسمة، والحبل السرّي الذي يصله بالأم : العروبة .

لكنني اظلمها واظلم نفسي ، لقد تكسرت امواج هذا الجيل على صخرة الهزيمة . الحزن هو الحي الباقي . كبر ممدوح عدوان ، وعلي الجندي ، وحسب الشيخ جعفر، وسعدي يوسف ، ومات تيسير سبول ، وطأطأت الاعلام التي طالما جاهدت الآداب أن تبقى خافقة في الشمس !

فاذكريهم .. واذكريني !..

القاهرة